تاريخ الحج وفضائله

الحمد لله الذي جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا

وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا ومنة

فرض علينا حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام يردونه ورود الظمآن

واختار من بين خلقه سماعًا أجابوا إليه دعوته وصدّقوا كلمته

عباد الله، ما تنتهي من طاعة إلا منَّ الله علينا بطاعة أخرى، وما يخبو موسم إلا أَضاء موسم آخر، فها نحن عباد الله في ظلال أشهر الحج ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾.

هذه العبادة العظيمة من بين أركان الإسلام ومبانيه، عبادة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين، فيه أنزل الله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣].

هذه العبادة العظيمة ملة أبينا إبراهيم، نداؤه حين قال الله له: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحج: ٢٧].

ودعاؤه عندما قال ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

نحن مِن دعواه في الدنيا دليل ... نحن فيه من براهين الخليل

هذه العبادة العظيمة التي عظمها الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[التوبة: ٣٦]؛ فالشهور الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

هذه العبادة التي عظمها أهل الجاهلية، عظموا الحج والمناسك، فحرموا القتال في هذه

الشهور من أجل هذا الغرض.

فذو القعدة: يقعدون فيه عن القتال فيتيسر لهم وللعرب الذهاب للحج في أمان.

وذو الحجة: يحجون فيه.

المحرم: يرجعون إلى ديارهم في أمان.

رجب: ليتسنى لهم الاعتمار.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾: (**فِي كُلِّهِنَّ، ثُمَّ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَعَلَهُنَّ حُرُمًا وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِنَّ وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ**)[1].

هذه العبادة العظيمة التي لم يعظمها الله فقط بين البشر، بل وعظمها بين الملائكة، فللملائكة بيت يحجون إليه كما أن لبني آدم بيتًا يحجون إليه، بل وفي كل سماء بيت يحج إليه أهل هذه السماء، كما ذكر أن بيت العزة في السماء الدنيا، وقد أقسم الله تعالى بكعبة الملائكة في السماء السابعة وهي البيت المعمور قائلًا: ﴿ **وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤** ﴾[الطور: ١ - ٤].

يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**)[2]، يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم.

وفي رحلة الإسراء وجد الرسول صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور[3]، فالجزاء من جنس العمل، فسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو الذي بنى الكعبة الأرضية.

---

[1] تفسير الطبري رحمه الله جامع البيان ت شاكر (14/ 238).

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك (3742)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الإمام الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وأخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (3207) ومسلم رحمه الله في صحيحه (162) بغير هذا اللفظ.

[3] انظر: صحيح مسلم (162).

وعلى درب الملائكة سار ركب المؤمنين، وعلت بهم هممهم ورغبتهم في الحج والرحلة إلى الله، يقول رسول الله ﷺ: (**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ مُنْهَبِطًا مِنْ ثَنِيَّةَ هَرْشَى مَاشِيًا**)[1]، ثَنِيَّةَ هَرْشَى: قيل جبل قريب من الجحفة في طريق مكة.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ قَالَ: (**حَجَّ الْحُسَيْن بْنُ عَلِيٍّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِيًا**)[2]، وحج الإمام القدوة الأسود بن يزيد ثمانين مرة ما بين حج وعمرة.

ومازال المؤمنون، والأئمة، والناس يحجون بيت الله الحرام، إنها عبادة عظيمة عباد الله.

نشكر نعمة الله أن جعلنا على طريق الصالحين نريد وبحجهم نقتدي

وكما أنه يوجد **حج الأبرار** فإنه يوجد أيضا **حج الفجار أو قل (صد) الفجار**، ومن أخبث الفجار هؤلاء الشيعة؛ فها هم القرامطة وهي من فرق الشيعة حجوا حج السفاحين، فها هو أبو طاهر الجنابي دخل مكة في ذي الحجة سنة 307 هـ وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا، وقتل هذا اللعين في المسجد الحرام وحده نحو 1700 وهم متعلقون في أستار الكعبة، وقتل في سكك مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألفًا، واقتلع الحجر الأسود، وكان يقول: أين الطير الأبابيل؟!! ويقول شاعرهم:

خُذي الدُّفَّ يَا هَذِهِ والْعَبِي ... وغَنِّى هَزَاريكِ ثُمَّ اطْرِبِي

تَولَّى نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ ... وَهَذَا نبيُّ بَنِي يَعْرُبِ

فَقَدْ حَطَّ عَنَّا فُرُوضَ الصَّلاةِ ... وَفَرْضَ الصِّيَامِ وَلَمْ يُتْعِبِ

أما فرقة الإمامية منهم فقد فضلوا كربلاء على مكة، بل وعلى السماوات السبع، فكربلاء كعبتهم و فيها حجهم، يقول شاعرهم:

هي الطفوف فطف سبعًا بمغناها ... فما لمكة معنى مثل معناها

أرضٌ ولكنَّما السبع الشداد لها ... دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (3755).

[2] الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الخامسة (1/ 401)، لابن سعد رحمه الله.

أما الفرقة الضالة الأخرى وهم القاديانية، فها هو شيطانهم القادياني ميرزا غلام أحمد عميل الإنجليز، قال: إن مسجد قاديان أنزل الله فيه: ومن دخله كان آمنا.

وكذلك الحال عند البهائية -أخزاهم الله-، فالحج عندهم هو حج البيت الذي أقام فيه حسين علي البهائي في بغداد، والبيت الذي سكنه علي محمد الشيرازي بشيراز، وهو واجب على الرجال دون النساء.

وكذلك أصحاب التصوف والفلسفة الذين لهم صلة وثيقة بآراء الشيعة، منهم الحلاج رائد فكرة الحج بالهمة، يقول الخاسر: من أراد الحج ولم يتيسر له؛ فليبن في داره بيتًا لا يناله شيء من النجاسة، ولا يُمَكِّن أحدًا من دخوله، فإذا كان في أيام الحج؛ فليصم ثلاثة أيام، وليطف كما يطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره كما يفعل الحجيج بمكة، ثم يستدعي ثلاثين يتيمًا فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك؛ قام مقام الحج.

وهكذا الصوفية، حتى إنهم بلغ بهم الأمر أن قالوا عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو سيد من سادات أهل السنة: قطع طريقه إلى الكعبة في أربعين سنة لكثرة عبادته في الطريق ثم ذهب إلى الكعبة فلم يجدها فقال نادمًا وا أسفاه، أصرت أعمى حتى لا أرى الكعبة؟!! فسمع صوتًا يقول: يا إبراهيم، لست أعمى، ولكن الكعبة قد ذهبت للقاء رابعة.

بل بلغ به الأمر هذا الحلاج فقال:

ألا أبلغ أحبائي بأني ... ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي ... فلا البطحا أريد ولا المدينة

أما ابن الفارض فبين في شعره أنه إذا أراد الطواف؛ طاف حول نفسه، وهكذا من هذه السخافات.

فلنحمد رب العالمين أننا على درب الصالحين سائرين، وعن درب الكافرين، والمجرمين، والضالين بعيدين.

هذه العبادة العظيمة الذي فرضها الله تعالى قائلًا: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧ ﴾[آل عمران: ٩٧].

ويقول ﷺ: (**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**)[1].

فالحج مفروض على كل مسلم، بالغ، عاقل، حر، قادر، والحج عباد الله على الفور لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[آل عمران: ١٣٣]، ولأن العقل والشرع واللغة كلها تدل على أن الأمر يكون على الفور.

فقد غضب الرسول ﷺ في غزوة الحديبية لما صالح قريشًا على أن يرجع ويعتمر من العام المقبل، فكان عليهم أن يتحللوا، فأمر الصحابة رضي الله عنهم أن يتحللوا، فتأخر الصحابة رضي الله عنهم لأنه يريدون أن يعتمروا وأن يعلوا كلمة الدين ويجاهدوا، ولكن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى علم أن في الصلح خير عظيم، المهم أنه ﷺ غضب لتأخرهم، ولو كان الأمر على التراخي ما غضب النبي ﷺ، فلما حلق النبي ﷺ حلق الصحابة رضي الله عنهم حتى كاد يقتل بعضهم بعضا.

وكذلك لأن الإنسان لا يعلم ما يعرض له من أمور الحياة، يقول النبي ﷺ: (**مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ؛ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ**)[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رَجُلًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَيَنْظُرُ: كُلُّ مَا كَانَ لَهُ جِدَةٌ[3] وَلَمْ يَحُجَّ؛ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ**)[4].

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (8)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (16).

[2] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (2883)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (6004).

[3] جدة: سعة.

[4] أخرجه أبو بكر بن الخلال رحمه الله في كتاب السنة (1571)، وصححه الهيتمي المكي في الزواجر (198/1).

وحتى وإن لم يكن الحج واجبًا، فإن علمت فضائله؛ لتمنيت أن تحج كل عام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**)[1]، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: (**الرَّفَثُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُرِيدُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ**)[2]، والجمهور على أنه الجماع، وقال ابن حجر في قوله ﷺ (**رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**): (**أَيْ: صَارَ بِلَا ذَنْبٍ، وَظَاهِرُهُ غُفْرَانُ الصَّغَائِرِ، وَالْكَبَائِرِ، وَالتَّبِعَاتِ**)[3].

وقال ﷺ: (**وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**)[4].

بل قد يشمل هذا الفضل المعتمرين كذلك، فقد قال النبي ﷺ: (**مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**)[5]، فقوله ﷺ (**مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ**) يشمل الحج والعمرة، قال المناوي في قوله ﷺ (**وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**) أي: (**خلوه عن الذنوب، وهو يشمل الكبائر والتبعات**)[6]، وقال عياض: (**هُوَ مَحْمُولٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ تابَ وَعَجزَ عَنْ وَفَائِهَا**)[7].

ويقول ﷺ: (**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**)[8]، قال المناوي رحمه الله: (**لَيْسَ لَهُ جَزَاء إِلَّا الْجنَّة: أَي لَا يقْتَصر لصَاحبه من الْجَزَاء على تَكْفِير بعض ذنُوبه، بل لابد أَن يدْخل الْجنَّة**)[9].

وقال ﷺ: (**أَدِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ**

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (1521)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1350) بلفظ مقارب.

[2] فتح الباري (382/3)، لابن حجر رحمه الله.

[3] الخصال المكفرة للذنوب (53/1)، للخطيب الشربيني رحمه الله.

[4] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (121).

[5] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1350).

[6] فيض القدير (8626)، للمناوي رحمه الله.

[7] الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (2/ 623).

[8] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (1773)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1349).

[9] التيسير بشرح الجامع الصغير (442/1)، للمناوي رحمه الله.

خَبَثَ الْحَدِيدِ)[1]، يقول المناوي رحمه الله: (**ائتوا بهما على الدوام والمواظبة لوجه الله تعالى**)[2].

يقول المناوي رحمه الله: (**مَثَّل متابعتهما في إزالة الذنوب بإزالة النار الخبث، لأن الإنسان مركوز في جبلته القوة الشهوية والغضبية محتاج لرياضة تزيلها والحج جامع لأنواع الرياضات من إنفاق المال وجهد النفس بالجوع والظمأ والسهر واقتحام المهالك ومفارقة الوطن ومهاجرة الإخوان والخلان وغير ذلك**)[3].

بل إن ذهبت إلى الحج فأنت في حفظ الله، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**ثَلاثَةٌ فِي ضَمَانِ اللَّهِ عز وجل: رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ عز وجل، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا**)[4].

بل إنك إن حججت؛ كنت من وفد الله القادمين عليه امتثالًا لأمره، بل ولم ترد دعوتك إن كان حجك مبرورًا؛ فعن النبي ﷺ: (**الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ**)[5].

فإن لم تحج أو تعتمر بعد ذلك فأنت محروم كما قال الله سبحانه ورسوله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قال: (**إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ**)[6].

عبد الله، لا تحرم نفسك، ولا تعرض نفسك لغضب الله، يقول الدهلوي رحمه الله في قوله ﷺ: (**مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا**

---

[1] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الأوسط (3814)، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (1185): صحيح بمجموع طرقه.

[2] فيض القدير (234/1)، للمناوي رحمه الله.

3 فيض القدير (225/3)، للمناوي رحمه الله.

[4] أخرجه الحميدي رحمه الله في مسنده (1121)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (3051).

[5] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (2893)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (4171).

[6] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (3703)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (1166): صحيح لغيره.

أَوْ نَصْرَانِيًّا)[1] يقول: (**ترك ركن من أركان الإسلام يشبه الخروج عن الملة، وإنما شبه تارك الحج باليهودي والنصراني، وتارك الصلاة بالمشرك لأن اليهود والنصارى يصلون ولا يحجون، ومشركو العرب يحجون ولا يصلون**)[2].

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (812)، وقال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار (337/4): حسن لغيره.
[2] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (378/8)، لعبيد الله الرحماني المباركفوري.